

# التعريف

—١٥٧—

## أماذة النفس أم جوهر مجرد

وهي عارضة بين الطامح والكاج

حدث الباحث ابن العزير قال: شغقت بالمعارف العتبية وكلفت بالمباحث الفلسفية فكنت انصي اليها مقلداً للفكر واتسم اخبار من اشتغل بها واشتهر واخوض بحمار مسائنها وارنظم بارواحها مشاكلها حتى رماني حسن التوفيق الى جماعة من اهل التحقيق قد اسنوا ذيل الحديث على ما قيل في النفس من القديم والحديث فجلست فيهم قري العين وقد انشعروا حزيرين ودارت مياه حديثهم على قطبين اشتهرا بالمعارف من كنوز المعارف يقال لاحدهما الطامح والآخر الكاج. فلما اصطلت بينهما تيران الوغى في هل النفس ميوتى قال الطامح ان ساجلني بطريق العلم<sup>(١)</sup> فانا اول المساجلين والآخر انا وحري من المراحلين. قال الكاج انا على ما تريد فلا ينل الحديد الا الحديد الطامح. وما نقول في تعريف النفس

الكاج. هي جوهر بسيط مجرد عن المادة به تفكر وتفعل وتريد واليه يشير كل احد بقوله انا ط. ابي لا تعجب كيف تزعم ان النفس جوهر مجرد عن المادة وانت الرجل النسب اغندى عقله بزيده معارف الاولين والآخرين فكانت لا تعلم ان افكار البشر بعد ما حارت طويلاً في افلاك الحدس والتخمين وانفجرت عن مخترق الحنيفة ذات اليسار وذات اليمين وقضت السنين والاجيال تخترق غياهب الجهل ومخائب الاوهام خرجت منها منضعة نحو الحقائق قاضحت علماً خالصاً من شوائب الياطل وقاداً في ذات كشافاً لفشاة الاوهام عن البصائر. لم لا تطلع عن ذلك المذهب وقد قضى العلم انه فاسد اذ لا وجود لتغير المادة في عالم الوجود. وهل تنكر ان كل حبيبة تقوض منه ركناً وكل اكتشاف يزيد

(١) لما كان في هذا الباب مظنة بتعرضه المقالة للمذهب الدينية نه على دفعها بان البحث لا يكون هنا الا بطريق العلم. وذلك لان البحث عن ماهية النفس من حيث كونها جوهرًا مجردًا او مادة من خصائص علي النيبرولوجيا والبيكولوجيا واما البحث عن خلودها وما يترتب على ذلك فمن خصائص علم اللاهوت ولذلك لا يتعرض له

عماده وهما حتى لقد تغيرت السوارة ودكت اساساته وتهدمت مترساة وشرع المتخفون اليه يولون مدبرين  
فكافي بك تخرج مطية عقلك مخافة ان تخترق مناوذا الارهام والتقليد وترتع في رياض الحقائق  
ك . ولم يجلبك اسري وانت اذا تصفحت كتابات الاولين رأيت ان نيران حربهم لم تنقص سعيراً عن  
نيران المتأخرين فهذا تاريخ الفلاسفة يشهد انه مذ تجردت انكار الشرع عن الاهتمام بالسلع والحطام  
واطلقت لنفسها امة البحث في القضايا الكلية والمسائل العظام اتسمت اقساماً على اقسام . وانت خير  
والحال شاهدة ان هذه الحرب لم تنزل جارية على قدم وساق وكل حرب يدعي لنفسه النصر والظفر  
ولاهرين انتك في ما قدمت تجاوزت حد طوم المتقدمين والمتأخرين وطعت ابصارك الى ابعد مما  
يبيد لك علم اليقين فانا بعد ان استمرت شرائع العلوم وميزت بين غف الاحكام وسميتها ووزنت  
الحقائق يميزن العقل تخرج لي مذهبي الثابت الذي توهم انت قرب اتقاصه . ولذلك لست اكبح مطية  
عقلي عن اختراق مناوذا التقليد وانما اكبحها عن الطموح من الحقائق الى الارهام فخير لي ان اكون بهلما  
المعنى كالحجاً من ان اكون طامحاً

ط . تقول انك استمرت شرائع العلوم وميزت بين غف الاحكام وسميتها ووزنت الحقائق فترج  
مذهبك فاجوابك على ادلة علماء هذا الزمان

ك . هات ان كان عندك شيء ومنها فتكون من الشاكرين

ط . كنت اود لو تيسر لي ان استوفي لك ادلتهم ولكن ما هذه بفرصة ترك فخذ مني اشهرها . اولاً ان  
هذه النفس التي تزعم انها جوهر مجرد عن المادة هي مقارنة للجسد المادّي فلا نعلم بوجود نفس غير  
متروية بحجم مادّي ولا نستدل على افعالها وظواهرها الا بواسطة الجسد . وليس في العلم ادنى دليل  
على ان نفساً من النفوس فعلت فعلاً او اظهرت شيئاً من ظواهرها مجردة عن الجسد . وكل نفس تصل  
الى معرفة قواها وكشف شرائعها مودوعة في جسم مادّي . فهل يسعك انكار شيء من ذلك  
ك . ما لك ولا تكاري فابت على ادلتك كلها وخذوا لي بعد ذلك

ط . لقد اصعبت فاعلم ثانياً ان هذه النفس المتترة بالجسد تنمو وتنمو وتتكامل قواها بتكامل قوّة  
فاعضائه الجسد تكامل الذئبة معها اولاً فتعمل افعالها ثم التي قوتها كذلك ولا تزال تتكامل حتى  
تصير كقنا لقضاء كل افعالها وينشأ الجسد ثم ينمو وتجا وقوة حتى ياتي طور الانحطاط فيحط . وفي غضون  
ذلك تنزع قوى النفس في النمو فتخرج قواها كما تخرج الجرثومة اوراها ولا تزال تنتوي وتنمو حتى تصير  
كقنا لقضاء جميع افعالها . فاذا كانت النفس تخرج قواها الى الوجود كما يخرج الجسد اعضاءه وتكون  
وتنمو كما يتكون الجسد وينمو حتى انك لا تجد بين جسد الطفل والبالغ فرقاً اعظم ما بين عقليهما فالانسان  
الذي يات والاقرب للعقل ان تكون النفس - ابي الفكر والانفعال والارادة - افعال عضو من الجسد

انفق مما سواه بنية واقن منه تركيباً كما ان احداث الحرارة في الجسد من الاعمال المتعلقة بالزمن  
واحداث الكبرياء في البطارية فعل الحوامض والمعادن التي فيها . وبذلك تكون كل قوى الانسان  
واقفالة الارادية وغير الارادية صادرة عن مصادر منظومة في سلسلة متصلة الملتقى - شأن العلم في سرد  
الموجودات في سلسلة تامة الاتصال - بخلاف ما اذا فرضنا النفس ذاتاً مستقلة عن الجسد فانها  
تفني بالانفصال

فالتالي هذه النفس لا تكفي بمباراة الجسد والنحو ينمو بل تعتمد عليه ايضاً لاجل الحصول على  
المعرفة وما يتلو تلك المعرفة من الاعمال اللذيذ او المولم كالاساط والاقباض . فانها بلا المعين  
لا تدرك المراتب ولا تبسط منها ولا تنقبض ولولا الاذن لا نسمع الاصوات ولا تتفعل بها . فكل ما  
نعرفه ونفعل يوم هذا الكون المادي انما نتصل الى معرفته بواسطة الحواس الخمس المادية ولا نحصل  
على معرفة جديدة ما لم يؤثر اولاً جسم مادي بهذه الحواس المادية وما عندها من المعارف للملها  
والانفعالات السامية حاصل بالتجريد والتعميم ونحوها من المبركات الجزئية التي تدركها بواسطة  
الحواس الخمس . ولذلك تعتمد في ادراكها الكلية على الادراكات الجزئية اعتماداً عظيماً او قليلاً حسب  
الحاجة . فكلو تعطلت الحواس لا غلقت ابواب المعرفة عنها ولولم توجد الحواس لكنت لا نستطيع ان  
تبدى عملاً لانها لا تبدأ بفعل افعالها ما لم تؤثر الاجسام المادية في الحواس وتؤدي الحواس ذلك التأثير  
لليها فتعني قولك ان النفس جوهر بسيط مجرد عن المادة وفي بلا المادة لا تحصل على معرفة ولا  
يعرفها التفعال ولا تبدى فعلاً من الاعمال ولا يدري بوجودها ولا يعرف شي من احوالها

رابعاً . قد قلت لك ان النفس لا تعلم بوجودها الا مقروبة بالجسد وانها تتوهم وتتكامل قواها  
بتكامل قواها وانها تعتمد على في ادراك الاشياء والانفعال بلادتها والآن خطري دليل اقوى مما تقدم  
على انها هي في الدماغ سياتي . فبل ضرب عكك انها تتأثر من كل عارض يعرض للجسد او لا تعلم انه اذا  
ارتبكت المعدة في هضم الطعام ضعفت قوة النفس فلم تقدر على توجيه انتباهها الى ادراك الامور وتدرك  
ما عندها من المبركات كترجيها اية الى ذلك في حال الصحة . وانه اذا اضرى آلة القلب خلل الم  
الحلل ايضاً بالنفس ضعفي عن افعال النظر وانه اذا اشتدت بعض الامراض على الجسد اطلقت العنان  
للخيال فيصور للنفس افعال الصور ويلونها بها ويل الكراهة والنور وينزقها بما تنقبض منه وتاتي النظر  
اليه . وهي يتفرع سلطانها عنه فلا تستطيع ان تنجزه عن تصويره ولا مناص لما فتخلص من خيالها . وانه  
اذا انسكب دم او زلال الى الدماغ تعطلت النفس فلا تتفعل فعلاً او قدت قوة الادراك بماها .  
وانه اذا اصاب الدماغ ما يغير تركيبه او يحيط اعلمه او اذا قطعت اعصاب من اعصابه قربما جرت  
الانسان وذهب عقله فيقلب ما نسيه انت نفساً فيصير ذاتاً اخرى تماكس تلك في طبعها كما يستدل

من انعكاس أفعالها. ولا يزال ذلك كذلك حتى يرتفع السبب ويبرأ الدماغ فيرتفع السبب وتعود النفس كما كانت. فثبت شعري كيف يجوز عليك أن النفس جوهر مستقل عن المادة وعلى صحة الجسد صحها وعلى اعتلاله اعتلالها وعلى تعطل الدماغ تعطلها وعلى انحلاله زوالها وانحلالها. فإن كنت بعد هذا لا تسلّم بانها أفعال الدماغ فالأولى أن لا تسلّم بكون الصوت موجاً في الهواء والنور والحرارة موجاً في الأثير. لأن اعتماد الصوت والنور والحرارة على تلك الأركان ليس بأعظم من اعتماد النفس على الدماغ. ولا سيما أنه متى انحلت الجسد تفرقت عناصره تخفت النفس عن علنا فلا يبقى لنا دليل من البحث والمشاهدة على وجودها

خامساً. إذا اعتنت النظر في مراتب الكائنات واخصت لنفسك الحكم وطلت عن عقلك رقة التقلد بينت أن جوهر النفس كائن مادي لا غير ولكنه خاتمة الماديات وإماها رتبة. فلا خفاك أن الجادات أدنى المخلوقات مبرطة بشرائع لا تغير أفعالها الجاذبية. فانها مسنونة على كل جسم مادي وبها توازن الكواكب في السماء وتثبت الأجسام على الأرض. وفوق هذه وأخص منها الألفة الكيماوية بها تتحد الأجسام المختلفة الطباع فيتكون منها اجسام أخرى مختلفة عنها أيضاً في طباقها. وفوق هذه وأخص منها البلور يد تترتب جواهر الأجسام في محيزات قياسية بحيث يتشكل الجسم بأشكال هندسية على غاية الأحكام والانتان كما ترى في بلورات الماس والياقوت وغيرها من الجواهر الكريمة. فاذا اعتبرت الجادات هذا الاعتبار رأيتها نمو مرتبة بحسب ارتباطها بشرائع بعضها أخص من بعض فالمرتبط بشرائع الجاذبية والألفة الكيماوية اسي مرتبة من المرتبط بشرائع الجاذبية فقط والمرتبط بشرائع الجاذبية والألفة الكيماوية والبلور اعلی مرتبة من المرتبط بالجاذبية والألفة الكيماوية فقط حتى انك لترى في حمن شكل البلورة واتقان هندستها وأحكام زواياها رمزاً الى الأجسام الحية. وفوق تلك الشرائع وأخص منها الشرائع المحيوية بها تكون الأجسام مؤلفة من اجزائها شئ كل يقضي حاجاته خصوصاً وحاجات الكل عموماً فكلمها نسي معاً لصالح الكل. فالنبت مثلاً يخرج أوراقه اذا وافقت الاحوال وينفخ ازهاره ويعتد انقاره ويقي بعده جسماً حياً خلفاً له. والحيوان اذا تيسرت له حاجات الحياة من الغذاء والضوء والماء نسيحت جواهره على منوال عظامه وعلى آخر لحمه او مئ او عصباً او دماغاً واهم كل منها يحفظ حياته خصوصاً وحياة الكل عموماً تحسى كل اعضائه الى غرض واحد. ويساهي الحيوان في مراتب الكمال تظهر فيه ظواهر النفس وتكثر ويتداخل بعضها في بعض بارتقاء ما تظهر فيه حتى تبلغ غايتها في الانسان. وليس في وسلك ان تستفي الانسان في شئ مما تقدم فانه لا يريد في اصله عن البيت في كونه جسماً حياً قابلاً للتغذية والنمو ثم يدخل دائرة الحيوانية ويعر على مراتبها من ادانها الى اعلاها حتى يصير حيواناً شاعراً مدركا عاقلاً. فواضح ما قدمته ان النفس لا تظهر الا في ما كان مرتبطاً بشرائع الجادات والاجسام

الحية وانها تترقي في الحيوانات حسب ارتقاء الحيوانات في مراتب الخلق حتى تلغ اكملها في الانسان. فهي  
مادية تنمو كلاجسام ولا يسع العقل السليم ان يجعلها جوهرًا مستقلاً عن الجسد وهو يراها تترقي رتبة كما  
ترقي اجساد الحيوانات بل لا بد لمن يطالع عقله ان يحكم بان نمو النفس وارتقاءها مسيبان عن نمو  
الاجسام الحية وارتقاؤها وان النفس فعل الدماغ كما ان الهضم فعل المعدة.

والخلاصة انا لا نعلم بوجود نفس غير مقارئة للجسد ولا دليل لنا من البحث والمشاهدة على وجودها  
كذلك. وان النفس تنمو كمو الجسد وتعتمد عليه في ادراكها وانفعالها وتضبط بضعفه وتقوى بقرينه وتنام  
بنومه وترقي بارتقاؤه وتقلب على نار الجنون وتضل في تيه البلاهة والهديان بتعطل الدماغ واضطراب  
تركيبه وتغيب عن معرفتنا وثلاثي من عالم مشاهدتنا بنموه وانحلاله الى العناصر التي تركيب منها

وتترتب على ذلك ان النفس فعل من افعال الجسد وان جوهرها هو جوهر الدماغ. وبهذا يتضح  
سبب نموها بنمو الجسد واعتمادها على في الادراك والانفعال وصحتها بصحة واعلالها باعلاله وارتقاؤها  
بارتقاء مراتب المخلوقات وزوالها واضمحلالها بانحلال الجسد واضمحلاله. واما كونها جوهرًا غير مادي  
فلا يحل مشكلًا من هذه المشاكل ولا يتسع عقل العاقل فهذا ما مهيأ عندي الآن فهات دليلك على  
مذهبك والبرهان

ك . نعم ما طلبت فستعلم هذه الجماعة اينا اقوى برهانًا واصدق بيانًا ولكك قد اطلت الصلح  
فسابط ادلي في محفل آخر والسلام  
(التابع للتابع)

## طَرَفٌ فِي تَرْكِيْبِ الْاِنْسَانِ

بقلم السيدة ياقوت صرف

القلب \* قلت في البنية الاولى ان في داخل هيكل الجسد اعضاء رئيسة كالمعدة والقلب والرئتين  
وما اشبه واوجزت الكلام في المعدة والهضم لانه قد جاء وصفها في المنتطف قبل ذلك مفصلاً وكفي  
استطردت الكلام الى الطعام وكيفية طيجه والآن اعود الى وصف العضو الثاني الرئيسي الذي هو القلب  
فاقول

يتدنى القلب في الحيوانات الشعاعية التي هي اوطأ انواع الحيوانات بانبوب بسيط وكنته يتم  
وظيفة التي هي ارسال الدم الى اطراف الجسد كقلب الانسان. ثم يتقدم على ذلك درجة في الحيوان المسمى  
بالثوبان هنا الحيوان له قلب حلقي حول مريه. ثم يتقدم درجة اخرى في نوع من الصدفة له قلب  
ذو تجويفين فاذا كان في الماء مان بض قلبه جلياً فهو في ذلك اعلى من الحيوانات المفصليّة. اما